

# تلقيح الأطفال: إجراء آمن وفعال



بفضل التلقيح اختفت من العالم العديد من الأمراض المعدية المخيفة والقاتلة كالجدري، الكزاز، شلل الأطفال وغيرها. أدى إعطاء التلقيح لانخفاض كبير في عدد حالات السعال الديكي، الحصبة، التهاب الكبد والتهاب السحايا لدى الرضع و الأطفال وحتى منع حالات سرطان عنق الرحم عند النساء. إذن، لماذا توجد أصوات تشكك في فوائد و مزايا التلقيح؟

تسمع هذه الأصوات كثيرا عبر شبكة الانترنت، وفي وسائل الإعلام المكتوبة وحتى في برامج التلفاز. لا شك لدينا إن قرار العائلة بعدم تلقيح أطفالها، نابع من إيمانها بان هذا القرار هو الأفضل و الأنسب. ما لا تعلمه أفراد العائلة، أنه عندما لا يقومون بتلقيح أطفالهم، هم يرتكبون خطأ فادحا، يستند إلى معلومات مغلوبة وعلى حقائق جزئية مما قد يعرض آخرين إلى مخاطر مهمة.

أحد التفسيرات المروجة والتي تبدو مقنعة للوهلة الأولى، هو أن التلقيح قد يسبب أضرارا على الدماغ ويؤدي للإصابة بأمراض كالتوحد وأمراض دماغية أخرى. عند معاينة هذه الحالات، يجب اخذ عدد من الحقائق بعين الاعتبار بحيث أن معظم الأمراض الوراثية تظهر في أول سنتين من حياة الرضيع، وهذه هي السنوات التي يأخذ فيها الأطفال معظم التلقيحات، مما يجعل ارتباطها بالتلقيحات أمرا غاية في السهولة.

الطريقة المثلى لفحص والتأكد ما إذا كان التلقيح يؤدي لحدوث كل هذه الحالات الخطيرة، هي إجراء أبحاث بطريقة علمية ومنهجية لفحص ما إذا كانت الظواهر، كمرض التوحد، الموت السريري وغيرها، أكثر انتشارا وسط الأطفال الذين يتلقون التلقيح، مقارنة مع أولئك الذين لا يتلقونه.

وفعلا يتم القيام بهذا الفحص العلمي على نطاق واسع عبر العالم ولفترة كبيرة من الوقت، إذ أن النتائج والخلاصات تستبعد بشكل حاسم، وجود علاقة بين التلقيحات وهذه الظواهر المأساوية. إضافة إلى ذلك، تبين بأنه لا توجد علاقة على الإطلاق بين لقاح الحصبة وبين ظهور التوحد، وان الدراسات الأولى التي أشارت إلى وجود هذه العلاقة كانت كاذبة وغير صحيحة.



أثبتت الدراسات والأبحاث أيضا، أن إعطاء لقاح الأنفلونزا غير مرتبط بحالات الوفاة،

وان إعطاء التلقيح لسرطان عنق الرحم لا يؤدي لنشوء ظواهر مرضية أكثر لدى النساء اللواتي تلقين التلقيح مقارنة مع اللواتي لم يتلقين التلقيح.

في الواقع، التأثيرات الجانبية للتلقيح سهلة نسبيا، وتتلخص عادة بارتفاع درجة الحرارة و التهابا في موضع الحقنة بضع أيام فقط. بينما عندما نقارن هذه التأثيرات مع تداعيات عدم التلقيح، نرى أن النتائج كارثية. فمعدل الوفاة والإصابة بالأمراض الخطيرة المرتبطة بالأمراض المعدية الصعبة، قد يصل معدل الوفاة فيها أحيانا إلى حالة واحدة من بين 10 أشخاص يصابون بالعدوى.

الأشخاص الذين يعارضون فكرة التلقيح، يدعون بأنه يؤدي إلى عبء على مستوى جهاز مناعة لدى الطفل الرضيع. بيد أن جهاز مناعة الطفل الرضيع، يمكن له مواجهة أكثر من 100 ألف عامل عدائي خارجي. علاوة على ذلك، أثناء الإصابة بعدوى فيروسية بسيطة، يواجه الطفل عشرات البروتينات الغريبة في آن واحد. مما يجعل الادعاء القائل بان مواجهة عشرات البروتينات الغريبة التي تعطي خلال السنة الأولى من حياة الرضيع في إطار التلقيحات، عبئا على الطفل الرضيع، أمرا غير علمي.

كما أن معارضي التلقيح، يزعمون بان اللقاحات تحتوي على مواد غريبة وضارة، كالزئبق والمواد الحافظة. الحقيقة هي أن أملاح الزئبق التي كانت توضع مع التلقيحات كمادة حافظة و تمنعه من التلف، تم إزالتها من التلقيحات الروتينية. والتلقيح الوحيد الذي لا يزال يحتوي على أملاح الزئبق هو لقاح الأنفلونزا. مع ذلك، من المهم توضيح حقيقة أنه لو كانت هذه المواد تسبب ضرا فعليا، لكنا قد اكتشفنا ذلك في الدراسات البوابائية التي تقارن بين الأشخاص الذين تلقوا التلقيحات وبين أولئك الذين لم يتلقوه. إذ ان الحديث يدور عن مئات الملايين من الأشخاص الذين تلقوا التلقيحات، لذلك لا نستطيع الافتراض بأن ضرا من هذا النوع لم يكن لينعكس في الدراسات البيئية التي أجريت على مر السنين.

أحيانا تكون هناك أقوالا أكثر اعتدالا، كقول "أنا لا أعارض جميع التلقيحات" أو "من المحبذ التلقيح ولكن مع اخذ الحيطة" أو "ينبغي التلقيح ولكن في مرحلة متأخرة" وغيرها.

في حقيقة الأمر، لا تستند هذه الأقوال إلى أساس علمي، وهي تؤدي في نهاية المطاف لزيادة نسبة الأطفال الذين لا يتلقون التلقيحات، الأمر الذي يعرض أفراد المجتمع إلى مخاطر جمة يدفعون ثمنا باهظا مما قد ينعكس على ارتفاع معدل الأمراض و الوفيات عند الأطفال الرضع.

يمكن التعلم من خبرة الدول كإندونيسيا، اليابان والسويد، حيث دب دعر غير مبرر وسط السكان، مصدره تلقيحات الحصبة ، مما أدى إلى انخفاض ملحوظ في معدل الذين يتلقون هذه التلقيحات. لكن سرعان ما أدى هذا الانخفاض إلى ارتفاع معدل الإصابة بمرض الحصبة ، وزيادة معدل الوفاة. يجدر التنويه أن حرمان الطفل من التلقيح هو بمثابة سلبه الحق في التمتع بصحة و مناعة جيدة و كذا الاستفادة من ثمار التقدم في عالم الطب.